... الخُلَّةُ... أو المحبَّـة؟!...

وفي سياق الحديث عن فضائل المصطفىٰ ﷺ ، عقد بعض العلماء مقارنةً بين المحبّة والخلّة ، وهذا طرفٌ منها :

الخليل يصل بالواسطة ، من قوله تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥] ، والحبيب يصل إليه ، من قوله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾ [النجم : ٩] .

وقيل : الخليل الذي تكون مغفرته في حدّ الطمع ، من قوله : ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٨٢] ، والحبيب الذي مغفرته في حدّ اليقين ، من قوله : ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] .

والخليل قال : ﴿ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [الشعراء : ٨٧] ، والحبيب قيل له : ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ ﴾ [التحريم : ٨] ، فابتُدئ بالبشارة قبل السؤال .

والخليل قال في المحنة : ﴿ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ ﴾ ، والحبيب قيل له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال : ٦٤] .

والخليل قال : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ [الشعراء : ٨٤] ، والحبيب قيل له : ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ [الشرح : ٤] ، أُعطي بلا سؤال .

والخليل قال : ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، والحبيب ﷺ قيل له : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وعلّق القاضي عياض رحمه الله علىٰ المقارنة التي نقلها أبو بكر ابن فورك عن بعض المتكلمين ، بقوله :

وفيما ذكرناه تنبيهٌ علىٰ مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والأحوال ، ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤][1].

أجل يا حبيب الله يا روح الوجود يا أحمد!

لقد خلقك الله تعالىٰ ، واصطفاك ، وجعلك حبيبه ، وجعل الكل يدور في فلكك ، وأعطاك من الفضائل الدنيوية الكثير ، ووهب لك من الفضائل الأخروية الشيء الكثير ، فهنيئاً لمن سار علىٰ دربك واقتفىٰ أثرك ، وعاش علىٰ محبتك ، ومات علىٰ سنّتك ، وأكرمه الله بشربةٍ من حوضك:

لنـور رسـول الله للخلـق رحمـةٌ ... ففـي نـوره كـلٌّ يجـيء ويـذهـبُ
بـرا مجـدُه الحـقّ للخلـق رحمـة ... فكـل الـورىٰ فـي بـرّه يتقلّـبُ
بـدا مجـده مـن قبـل نشـأة آدم ... وأسماؤه في العرش من قبل تكتبُ
بمبعثـه كـل النبييـن بشّـرت ... فـلا مـرسـل إلاّ لـه كـان يخطـبُ

* * *

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ: ٢٦٧ ـ ٢٦٨.